الا الله وحده والمراد بالعبادة التوحيد وترك الانداد والاصنام وما كان يعبد من دون الله
والرجوع الى الله تعالى الى عبادته والدخول في الاسلام وقيل يجوز ان يكون ان مفسرة لان في تفصيل
الايات معنى القول اى قيل لا تعبدوا الا الله فلا نهي في هذا الوجه ويجوز ان لا يكون قوله ان لا تعبدوا
متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه ويكون كلاما مقولا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم يغري امته
على اختصاص الله تعالى بالعبادة كانه قال ترك عبادة غير الله تعالى مثل فضرب الرقاب يعني
الزموه او اتركوها تركا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول وفيه اختصار مع
اعطاء معنى التاكيد انني لكم منه اى قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله تعالى نذير مخوف
من عذابه لمن كفر وبشير على الجنة والثواب لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه اى ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله
بالطاعة قال الشيخ اختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة
لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه
من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا
ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة
بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد وفي الامالي معناه استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او
استقيموا على التوبة واخلصوها فالتاخير رتبي لان الاستقامة والاخلاص اعلا شانا منها يمتعكم
جوابا للامر اى يعيشكم في الدنيا متاعا حسنا اى عيشة راضية ويعطيكم نعمة واسعة متتابعة
قال الاستاد معناه اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط
عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة ودعة وخير قال بعضهم العيش الحسن
هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور الى اجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا الى اخر العمر يعني
حين الموت ووقت انقضاء الاجال فان قيل كيف يكون في امن وسعة الى حين الوفات وقد قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال ايضا اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة فان هذه المذكورات تدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف
الجمع بين هذه النصوص قلنا لا منافاة لان المومن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثار طاعة
ربه على هوى نفسه وتكون راحته واطمينان قلبه في الاشتغال بطلب مرضاة ربه الا بذكر الله
تطمين القلوب وتفويض جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه
بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شانه لا جرم يعيش في امن
وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى بالاسباب
فانه يكون ابدا في الم الخوف من فوت محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا قيل
في الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشكم في امن وسعة الى اخر العمر بل معناه انه

قال

تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستيصال كما استاصل اهل القرى من الكفرة قال الامام ان قيل قوله تعالى
الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يقع في ذلك التقديم والتاخير فالجواب لا دلالة
على ذلك ومعنى الاية انه تعالى يحكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في الوقت الفلاني
ولو اعرض عنها لكان اجله في وقت اخر لكنه تعالى عالم بانه يشتغل بالعبادة فيقدر له الاطول
او لا يشتغل فيقدر له الاقصر فلا جرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت المعين فثبت ان لكل
انسان اجلا واحدا مسمى لا يتغير وسمى منافع الدنيا متاعا تنبيها على حقارتها وقلتها قوله عز وجل
ويؤت كل ذي فضل فضله اى ويعطي الله كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة
قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على
قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب
بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب احاده اعشاره
وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته قال السلطان والمعنى ويعط كل ذي فضل
وعمل صالح في دين جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التايب بخير الدارين قلت ويويد
ما قال السلطان قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وان
تولوا قرا الجمهور بفتح التاء والواو واللام المشددة واصله وان تتولوا حذف منه احدى التائين
تخفيفا ولذلك جاء الخطاب في قوله عليكم والمعنى فان تعرضوا عما جيتم به من الهدى والايمان والاستغفار
والتوبة فقل لهم فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني عذاب النار في الاخرة ووصفه
بالكبير مبالغة لما يقع فيه من الشدايد والاهوال وقيل كبير صفة لعذاب فهو منصوب وانما
خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب مع انه صفة للجحر وقرى وان تولوا بضم التاء
وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى وقيل المراد بيوم كبير يوم الشدايد وقد ابتلوا بقحط اكلوا
فيه الجيف قوله تعالى الى الله مرجعكم يعني رجوعكم الى الله لا الى غيره بالموت ثم بالبعث للجزاء
فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهذا وعيد وتقرير لكبر اليوم ولذلك
اردفه بقوله وهو على كل شيء قدير اى فهو قادر على ان يعذبكم اشد العذاب او على
ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة ثم انه تعالى لما قال وان تولوا اى عن عبادة الله
تعالى وطاعته بين بعد صفة ذلك المتولي فقال الا انهم يثنون صدورهم قال ابن عباس نزلت
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في
صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وروى البخاري عن ابن عباس
انها نزلت فيمن كان يستحيي ان يتخلى او يجامع فيفضي الى السماء وقال عبد الله بن شداد بن الهاد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)